العدد العشرون
2003

مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلّة إسلاميّة - ثقافيّة - جامعة - محكمة تصدر سنويًا

1371 من وفاة الرسول ﷺ الموافق لعام 2003 مسيحي

الأستاذ محمد القاضي

تقديم:

مبنى غريب، تطلَّب بناؤه إحدى وعشرين سنة، ويعتبر من المباني المذهلة في العالم. إنه دير الأسكوريال الذي يقع على بعد خمسين كيلومتراً شمال غرب العاصمة الإسبانية مدريد؛ فوق سفح تل صخري متصل بسلسلة جبال (سِيِيَّرِدِي غوَادِيرَامَا). بناه الملك فيليب الثاني ابن الإمبراطور شارل الخامس في النصف الثاني من القرن السادس عشر.

وقد قرر بناءه على إثر انتصاره على الفرنسيين في موقعة سان كانتان في اليوم العاشر من شهر غشت من عام 1557م. وتنويهاً بالقديس لورنثو الذي استمد عونه في هذه المعركة، وكان قد نذر في حربه مع فرنسا التي ألجأته إلى

هدم كنيسة تحمل اسم القديس المذكور أنه إذا انتصر فسيبني له كنيسة أفخم، فأطلق عليه: دير القديس لورنثو بالأسكوريال. كما قرر أن يشتمل البناء على قصر يكون منزلاً له ولأبنائه وأحفاده من بعده.

ويضم المبنى سبعة أبراج، وأكثر من اثني عشر ألف باب ونافذة، وتسعاً وثمانين نافورة، وستة وثمانين سلماً توصل إلى أمكنة مختلفة، أعمدته من البناء المربع، عرض كل ضلع من أضلاعها ثمانية أمتار، وعليها أقواس ترتفع عليها قبة الكنيسة. أما البهو الرئيسي الذي يتوسط المكتبة، فهو بهو واسع يزدان سقفه المحدب بالرسوم الفنية الملونة، وهو مقسم إلى سبعة أقسام، أفْرِد كل قسم منها لربة من ربات العلوم.

الأسكوريال: قصر ودير ومكتبة:

كان الملك فيليب الثاني رجلاً متديناً وحازماً، قرب إليه عدداً من المستشارين من العلماء والكتاب والمؤرخين، فأشار عليه هؤلاء بأن يضم المبنى مكتبة يمكن أن تضاهي بمحتوياتها وشهرتها المكتبات التي كانت معروفة ومشهورة في ذلك العصر، وخاصة مكتبة الفاتيكان في روما.

وكان من بين هؤلاء المستشارين المؤرخ الإسباني دي موراليس الذي كتب تاريخ الملك، والذي أشار عليه أن ما يزين المكتبات ويفردها بالأهمية هو احتواؤها على المخطوطات أكثر من الكتب المطبوعة. وهكذا اتبع فيليب الثاني بحماس فائق الخطة التي كان قد اتبعها والده شارل الخامس من قبله ببذل كل جهد ممكن للحصول على الكتب والمخطوطات النادرة بأي ثمن.

وهكذا بدأت مكتبة الأسكوريال تنمو وتتكاثر بفضل العناية التي كان يوليها للكتب الملك فيليب الثاني، الذي عمل على تأسيس مكتبات عمومية كبرى على غرار المكتبات الإيطالية، حيث طلب من سفرائه جمع المخطوطات العربية واقتنائها، بل كان يقدم مكافآت كبرى لمن يمتلك بعض هذه المخطوطات،

وهكذا أمكن له إثراء خزانة الأسكوريال بهذه التحف والذخائر التاريخية النفيسة[1].

وفي عام 1616م أصدر الملك فيليب الثالث أمراً طلب فيه أن ترسل إلى مكتبة الأسكوريال نسخة من كل كتاب يطبع في الأراضي الخاضعة لحكمه، فازداد رصيدها الواسع من الكتب المطبوعة والمخطوطات، ولا سيما نوادرها العربية واللاتينية واليونانية والعبرية وغيرها، التي تعطيها في الوقت الحاضر شهرتها العالمية. ويذكر المستعرب الإسباني براوليو خوستيل الذي شغل مديراً لمكتبة الأسكوريال في السبعينيات من هذا القرن، في كتابه عن هذه المكتبة بأنها تحتوي على خمسة وأربعين ألفاً من الكتب المطبوعة وخمسة آلاف مخطوط بينها 1870 من المخطوطات العربية و1400 مخطوط باللغة اللاتينية، و800 مخطوط باللغة الإسبانية. ويشير في سياق كتابه إلى أن عدد المخطوطات العربية وغيرها من المخطوطات في المكتبة ليس في الواقع إلا بقية باقية بعد الحريق الذي حصل في مكتبة الأسكوريال عام 1671م، وأتلف ما يزيد على أربعة آلاف مخطوط، بالإضافة إلى الكثير من اللوحات الفنية الرائعة التي كانت قد وردت على شكل هدايا إلى الملك فيليب الثاني[2]. كما أن عشرين مخطوطاً وحوالي 1600 من الكتب المطبوعة اختفت من المكتبة خلال حملات نابليون على إسبانيا في مطلع القرن الماضي، وذلك بالإضافة إلى ما ضاع من المكتبة أو فقد في ظروف أخرى.

---

(1) انظر مجلة «القراءة» الإسبانية الشهرية/ عدد سبتمبر 1989م دراسة للمستعربة الإسبانية: نيفيس باراديلا ألونسو عن: «المخطوطات العربية في الأسكوريال».

(2) كان المعهد الإسباني العربي للثقافة في مدريد سنة 1979م قد قرر إقامة معارض لجانب من المخطوطات العربية في مكتبة الأسكوريال في كل من إسبانيا وبعض العواصم العربية. فطلب من المستعرب الدكتور براوليو خوستيل، وكان مديراً للمكتبة آنذاك أن يعد كتاباً يكون على شكل دليل لهذه المعارض، ويعرِّف، بصورة خاصة، بالمخطوطات التي يتم تصويرها للعرض وعددها 47 مخطوطاً. وقام براوليو بهذا العمل وقسم كتابه إلى قسمين رئيسيين، يعطي القسم الأول منهما لمحة تاريخية وصفية عن مكتبة دير الأسكوريال، بينما يتناول القسم الثاني المخطوطات العربية وكيفية حصول المكتبة عليها والجهود التي بذلت لتبويبها ووضع الفهارس لها.

المجموعة العربية في الأسكوريال:

إن أهم ما تشتهر به مكتبة الأسكوريال مجموعتها الخاصة من المخطوطات العربية. وهي أعظم وأهم مجموعة من نوعها. وهي تضم ـ حسب المرحوم محمد عبد الله عنان[3] ـ نحو ألفي مجلد، ولكن أهميتها البالغة ترجع ـ قبل كل شيء ـ إلى تاريخها ونوعها. ذلك لأنها تمثل البقية الباقية من تراث الأندلس الفكري، وتتكون ـ على الأغلب ـ من كتب أندلسية ومغربية، وترجع من، حيث التاريخ، إلى عدة قرون.

ولهذه المجموعة من الكتب العربية قصة مشجية. ذلك أنه لما سقطت غرناطة آخر القواعد الأندلسية في أيدي فرناندو وإيزابيلا ملكي إسبانيا في يناير 1492م، كانت غرناطة وباقي قواعد المملكة الإسلامية السابقة مثل: ألمرية، ومالقة، ورندة، وبسطة، ووادي آش، كلها تغص بالمكتبات والمجموعات الخاصة، وكان معظم الكتب الأندلسية، عند سقوط القواعد الأندلسية الكبرى مثل: قرطبة وبلنسية ومورسية وإشبيليا وغيرها، قد تسرب إلى مملكة غرناطة آخر الممالك الأندلسية، وغدت غرناطة في الواقع آخر مستودع لتراث الأندلس الفكري، فلما سقطت، وبدأت السياسة الإسبانية جهودها للقضاء على مقومات الأمة المغلوبة، المادية والأدبية، كانت الكتب العربية من أهم أهداف هذه الجهود، فجمعت منها مقادير كبيرة وأحرقت في غرناطة. ولكن هذه النظرة المدمرة إلى تراث الأمة المغلوبة الفكري، تطورت فيما بعد وجمعت من الكتب العربية في أوائل القرن السادس عشر مقادير عظيمة، من القواعد الأندلسية القديمة، وحملت إلى المكتبة الملكية، ثم أودعت فيما بعد بقصر الأسكوريال.

الخزانة الزيدانية تصل إلى الأسكوريال:

يشير العديد من المؤرخين والباحثين المهتمين بتاريخ المغرب والأندلس

---

(3) المجموعة العربية في الأسكوريال/ حديث أذيع على أمواج الإذاعة البريطانية في شهر سبتمبر سنة 1967م ونشر في مجلة (هنا لندن) عدد/ شهر أكتوبر 1967/ ص: 16 و17.

إلى قصة استيلاء الإسبان على مكتبة السلطان زيدان بن أحمد المنصور السعدي، الذي بويع بعد وفاة والده 1012هـ 1037هـ الموافق 1603م/ 1628م، ودخل في حرب مع إخوته الذين كانوا ينازعونه الحكم. وقد تميزت فترة حكمه الذي استمر خمساً وعشرين سنة بالاضطرابات، كان يكبو خلالها تارة ويستقيم أخرى. وكان المغرب إذ ذاك يواجه الزحف الإسباني والبرتغالي والتحرشات العثمانية. وكان إخوة زيدان يستعدون عليه هذا الجانب أو ذاك. فكان عهده ـ على ما يحدثنا به المؤرخ الفرنسي ليفي بروفنسال ـ حافلاً بالأحداث والثورات، وخرجت عن طاعته أركان المغرب الأربعة كلها. ولقد اضطرت إحدى تلك الثورات المستمرة السلطان زيدان أن يرحل من مقره بمراكش إلى ميناء آسفي على المحيط الأطلسي، حاملاً معه أمتعته وخاصة خزانة كتبه. «ولما وصل إلى ميناء آسفي وجد سفينة القنصل الفرنسي جان فيليب دي كاستيلو التي تسمى NOTRE DAME DE LA GARDE، وجدها على أهبة الإقلاع إلى مرسيليا، فحملها خزانته وأمتعته ـ من بينها التاج والصولجان ـ وأمر القنصل بحارتها بالتوجه إلى مدينة أغادير مقابل 3000 دوكاً أو درهماً ذهبياً.

واكترى سفينة أخرى هولندية لنفسه ولخدمه ولحشمه ولبعض الفرسان المخلصين له، وصلت السفينتان معاً إلى أغادير، في نفس اليوم غادر زيدان السفينة الهولندية رفقة زوجاته وخدمه، ورفض «دي كاستيلو» إفراغ مركبه قبل أن يؤدي له الثلاثة آلاف درهم ذهبي، وبعد انتظار ستة أيام. فر «دي كاستيلو» من ميناء أغادير قاصداً مرسيليا حاملاً المكتبة والتاج والصولجان والألبسة وغيرها من الأمتعة، وكان ينوي تقديمها لحاكم مرسيليا DuC DE GAISE مقابل ما اتفق مع زيدان عليه»[4]. إلا أن الظروف قادت المركب في اتجاه مدينة سلا المغربية، حيث تعرضت له أربع سفن إسبانية واستولت عليه بكل سهولة؛ فاعتقد ملاحوها، خطأ، بوجود الذهب في صناديق الكتب، فلما فتحوها ولم يجدوا بها إلا الكتب، فكروا ـ من حسن الحظ ـ أن يقدموها هدية لملكهم

(4) انظر مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية/ جامعة محمد الخامس/ العدد/ 9 ص: 134.

وذلك سنة 1612م فتوجهوا بها إلى مدينة بلنسية الأندلسية، ومن ثم أمر الملك فيليب الثالث الإسباني، بنقل هذه المكتبة الضخمة التي تتكون من ثلاثة آلاف سفر من كتب الدين والأدب والفلسفة وغير ذلك إلى دير الأسكوريال، حيث أودعت هناك على أمل أن يتم استبدال هذه الكتب بالأسرى النصارى المحتجزين لدى المغرب في ذلك الوقت، وحين فشلت المفاوضات تم ضم هذه الغنيمة إلى مكتبة الأسكوريال، وهكذا شاء القدر أن يحرم المغرب من هذه الخزانة التي هي أكبر خزانة خاصة في تاريخ المغرب، نتيجة الاضطرابات والحروب، وأن تحمل إلى أوروبا أسيرة عدداً من السنين، لتصبح فيما بعد كعبة الباحثين من جميع بقاع العالم، على الرغم مما ضاع منها من مخطوطات بسبب الصاعقة التي يزعم مؤرخو النصارى أنها سقطت عليها[5].

وعلى الرغم من غنى هذه الخزانة الزيدانية وأهمية رصيدها بالنسبة لتاريخ إسبانيا فإن المسؤولين كانوا ـ بإيعاز من الفاتيكان يخفون هذا التراث عن نظر الباحثين والمطلعين، كأنما كانوا يخشون أن يبث روح التفكير الإسلامي في تفكير إسبانيا النصرانية بعد أن بذلت كل جهد ووسيلة لقتل روح الاطلاع على الفكر الإسلامي. وقد كان الكتاب المسيحيون أنفسهم يعرضون عن هذه المصادر التي تتحدث عن تاريخ إسبانيا وحضارتها أيام الدولة الإسلامية، ويقتصرون على المصادر القومية النصرانية، وإخفاء هذه المخطوطات عن نظر الباحثين هو الذي جعلها تبقى دون فهرسة مدة تزيد عن قرنين من الزمان[6]. إلا ما كان من محاولات سنذكرها فيما بعد. ولم ينس ملوك المغرب كتب المكتبة الزيدانية التي أُخِذت قصراً في عرض البحر، فبذلوا في سبيل استردادها الكثير من المحاولات، بدءاً بمحاولة السلطان زيدان نفسه الذي حاول أن يقدم عرضاً

(5) ورث زيدان خزانة أبيه المنصور الذهبي، ولم يكن هذا الوارث بأقل من أبيه اهتماماً بالعلم وولوعاً بالكتب والبحث عنها في مظانها. لقد كان فقيهاً مشاركاً في العلوم. له تفسير على القرآن العظيم. وله رصيد من اللغة والعلم يكفي ليجعله من الملوك العلماء.

(6) انظر مجلة «دعوة الحق»/ عدد: 281/ 1990م/ ص: 115.

للتفاوض مع البلاط الإسباني في سبيل استرجاع كتبه، واقترح مقابل ذلك ستين ألف درهم ذهبي، وأعاد محاولاته هذه عدة مرات دون جدوى إلى أن وافته المنية سنة 1037هـ/ 1626م.

ولم يتوقف خلفاؤه عن طلب إعادة هذه المكتبة مستعملين الوعد حيناً والوعيد حيناً آخر تجاه البلاط الإسباني.

ولم تنته المحاولات في سبيل استرجاع هذه الخزانة مع نهاية أسرة السعديين، بل استمر المغاربة يلحون على إعادة كتب تراثهم الإسلامي في عهد الملوك العلويين، غير أن طلب هؤلاء لم يقتصر على مكتبة فقط، بل تجاوزها إلى المطالبة بكل ما بقي من تراث العرب بالأندلس.

وكانت مجلة «القراءة» الإسبانية الشهرية قد نشرت في عددها لشهر سبتمبر 1989م دراسة حول هذا الموضوع بقلم المستعربة الإسبانية نِيفِيسْ بَارَادِيلاَ أُلُونسُو أكدت فيها أن معظم الرحالة العرب الذين زاروا إسبانيا تعرضوا في كتاباتهم إلى الأهمية التي تنطوي عليها الكتب والمخطوطات العربية التي توجد في الأسكوريال. وتشير الباحثة الإسبانية إلى أن المكتبات والمتاحف كانت باستمرار أماكن تسترعي اهتمام مختلف الرحالة العرب الذين زاروا إسبانيا على امتداد العصور، وهذا ما حدث لدير الأسكوريال حيث كان باستمرار محط اهتمام الزوار والرحالة الأجانب الذين كانوا يتقاطرون على إسبانيا. وتتعرض الباحثة في هذه الدراسة لثلاثة سفراء مغاربة زاروا إسبانيا في حقب تاريخية متفاوتة، حيث زارها الأول في القرن السابع عشر، والاثنان الآخران في القرن الثامن عشر. وكانت تجمعهم صفة واحدة، إذ كانوا جميعاً سفراء لبلدانهم في إسبانيا، وقد قدموا إليها للتفاوض مع العاهلين الإسبانيين كارلوس الثاني ثم كارلوس الثالث. ومن المهام التي اضطلع بها هؤلاء السفراء بالإضافة إلى مهامهم السياسية، قضية المطالبة بعدد من المخطوطات المغربية الموجودة في الأسكوريال وإعادتها إلى المغرب. وهؤلاء السفراء هم:

1 ـ الوزير ابن عبد الوهاب الغساني الفاسي الذي كانت سفارته في إسبانيا عام

1011هـ/ 1690م في عهد السلطان العلوي مولاي إسماعيل، وقد دون رحلته هذه في كتابه المعروف رحلة الوزير في افتكاك الأسير، قام بتحقيقها ونشرها الأستاذ ألفرد البستاني. وقد وصف هذا السفير الجناح الذي توجد فيه كتب السلطان ابن زيدان ومخطوطاته بدير الأسكوريال، كما فاوض العاهل الإسباني كارلوس الثاني بشأن إطلاق سراح المسلمين، وكذا إرجاع بعض المخطوطات المغربية إلى المغرب، إلا أن العاهل الإسباني استجاب للمطلب الأول وماطل في الاستجابة للمطلب الثاني.

2 ـ أحمد بن المهدي الغزال سفير السلطان محمد بن عبد اللّه العلوي إلى العاهل الإسباني «كارلوس الثالث» عام 1179هـ/ 1766م، وهو صاحب كتاب نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد حققه وقدم له الأستاذ إسماعيل العربي. وتحتل قضية المخطوطات المغربية كذلك مكاناً مهماً في رحلة الغزال الذي قام هو الآخر بزيارة الأسكوريال، وقد سلم له العاهل الإسباني بعض هذه المخطوطات: «يأمر ملك إسبانيا بإخراجها من المحل الذي كانت به ودفعت لنا وزدنا على ما صاحبنا من الكتب كتباً من غرناطة... وذهبنا في هذه الجموع بعد أن قدمنا بثلاثمائة من الأسارى وجعلنا على رأس كل أسير كتاباً من كتب الإسلام أنقذها الله من بلاد الكفر»[7].

3 ـ محمد بن عثمان المكناسي سفير السلطان محمد بن عبد اللّه العلوي لدى بلاط «كارلوس الثالث» الذي زار إسبانيا في الفترة المتراوحة بين 1193 و1194هـ/ 1779 و1780م، في شأن عقد معاهدة لتجديد الصلح بين الدولتين، ولافتكاك الأسارى الجزائريين الذين كانوا بإسبانيا. وهو صاحب كتاب الإكسير في فكاك الأسير، حققه وعلق عليه الأستاذ محمد الفاسي. كما أنه لم ينس ـ كسابقيه ـ زيارة دير الأسكوريال، حيث توقف

(7) انظر الرحلة (نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد) ص: 145.

بالخصوص طويلاً عند المخطوطات العربية «وهي عندهم في غاية الحفظ لا يمكن لأحد أن يدخل إلى تلك الخزانة كائناً من كان، ومكتوب على باب الخزانة بخط أعجمي ما نصه: أمر البابا أن لا يخرج أحد من هذه الخزانة شيئاً، ومن اعتناء الطاغية بنا فتحوا لنا الخزانة بأمره، فأرونا كتب المسلمين، وعدتهم ألف وثمانمائة سفر فيها نسختان من المصحف الكريم وعدة تفاسير جلهم حواشي وكثير من كتب الطب، وقد طالعت ما سمح به الوقت مع ضيقه، فخرجت من الخزانة بعد أن أوقدت نار الأحزان بفؤادي نارها، وناديت بالثارات فلم يأخذ أحد ثأرها، يا ليتني لم أرها، والحاصل أن هذا الأسكوريال من إحدى عجائب الدنيا»[8].

وقد سلم ملك إسبانيا كارلوس الثالث عدداً من المخطوطات العربية للسفير المغربي، إلا أنها لم تكن من مجموعة الأسكوريال.

الغزيري وفهرسته للمجموعة العربية:

جرت محاولات كثيرة لتنسيق هذه المخطوطات وتبويبها، فقد قام البروفسور دييغو دي أوريا بعد موت ملك إسبانيا فيليب الثاني عام 1598م بفهرسة المكتبة انتهى من ذلك عام 1600م، كما قام المستشرق الأسكتلندي دافيد كولفيل عام 1626م بدراسة المخطوطات العربية في مكتبة الأسكوريال وخاصة مجموعة هورتا دودي ميندوتا وقام بفهرستها ووصفها وصفاً مسهباً، وكتب ملاحظاته باللغة اللاتينية عليها، لكن ملاحظاته التي سجلها على مجموعة مولاي زيدان كانت مبتسرة، ولا تشير إلا إلى العنوان والمحتوى من كلمات قليلة سجلها في الركن الأسفل من كل مخطوط.

وفي سنة 1748م وصل إلى مدريد الراهب اللبناني ميخائيل الغزيري أو CASIRI كما تدعوه المصادر الغربية، وذلك بدعوة من الحكومة الإسبانية للعمل في حفل الترجمة في المكتبة الملكية بمدريد، ومترجماً للملك للغات الشرقية. وقد ولد في طرابلس سنة 1708م ودرس العلوم الدينية واللغات

(8) انظر الرحلة/ ص: 127.

الشرقية، ثم تابع دراسته بروما حيث كان يحاضر في العربية والسريالية والفلسفة واللاهوت، ويدرس اللغة اللاتينية في الوقت نفسه. تمحور عمل الغزيري في مدريد في اتجاهين: الأكاديمية الملكية والمكتبة الملكية. وكان شغله الشاغل إبراز مواهبه في اللغات الشرقية، خصوصاً اللغة العربية أمام الإسبان، وفي اللغتين اللاتينية والإيطالية، ما دفع بالملك إلى إصدار أمر تعيينه مديراً لمكتبة الأسكوريال، وذلك سنة 1749م ليقوم بفحص الكتب العربية وتقديم تقرير عن كنوزها للملك بعد دراستها والتعريف بها، وتقييد الشذور التي رأى أن ينقلها منها، والملاحظات التي رأى تسجيلها، ثم عاد إلى مقر إقامته بمدريد في أواخر سنة 1753م، وكان لعمله هذا الأثر الحسن عند الإسبان، كما كان له الفضل الكبير في وضع بعض أسس الاستشراق وازدهاره في إسبانيا. ولكن أهم ما قام به هو وضعه لفهرس كبير للمجموعة العربية بمكتبة الأسكوريال، على طريقة الفهرس الذي وضعه يوسف سمعان السمعاني لمخطوطات مكتبة الفاتيكان الذي عرف باسم بيبليوتيكا أورينتاليس B. ORIENTALIS «واتبع في وضع فهرسه قاعدة التركيز، وهي تدور حول المواد والتحليلات، وجرى على أسلوب الاقتباسات الموجزة والمطولة في إبراز قيمة المخطوطات ذات الأهمية الخاصة، وترجمة هذه الاقتباسات إلى اللاتينية. وأصدر الغزيري في سنة 1760م الجزء الأول من فهرسه اللاتيني الشهير بعنوان: «المكتبة العربية الإسبانية في الأسكوريال» A. B. H. ESCORIAL عمل وشرح ميخائيل الغزيري الماروني مدير المكتبة، الدكتور في اللاهوت، وخبير اللغات الشرقية تحت رعاية الملك كارلوس الثالث. ويقسم الغزيري فهرسه إلى فنون عديدة. وأول أقسام الجزء الأول هو النحو، وأول كتب هذا القسم الذي يحمل رقم 1 من الفهرس هو كتاب: أصول النحو لسيبويه، وهو يقوم بوصف الكتاب ومحتوياته باللغة اللاتينية، ويكتب اسمه واسم مؤلفه في أسفل الصفحة باللغة العربية... ويضم في النحو بمختلف أحجامه نحو مائتي مخطوط وينتهي بالرقم cci 190، ويأتي بعد النحو الفن الثاني وهو فن البلاغة... ثم فن الشعر...»[9] ومضت بعد

(9) انظر مجلة الدعوة الحق/ عدد 281/ 1990/ ص: 115.

ذلك عشرة أعوام أخرى، قبل أن يستطيع الغزيري إصدار[10] المجلد الثاني من فهرسه. وقد صدر في سنة 1770م باللاتينية وبنفس العنوان. وهو يفتتحه بقسم الجغرافية مبتدئاً من الرقم 1629م. ومحتوياً على سبع مخطوطات فقط، ويبدأ بكتاب العجايب والغرائب لمؤلفه سراج الدين بن عمر الوردي، ويليه قسم التاريخ... وبعده يستعرض طائفة منوعة من المخطوطات المختلفة المواضيع والصفات مما لم يدخل من قبل في الأقسام التي سبق ذكرها، ويصل بتعداد هذه المخطوطات المنوعة إلى الرقم 1851، ثم يلي ذلك كشف عام بالأعلام والكتب يستغرق نحو نصف المجلد الثاني. وقد تمت ترجمة هذا الفهرس إلى اللغة العربية في عهد السلطان المولى سليمان العلوي (1792 ـ 1823م) باقتراح الأديب الوزير المغربي محمد بن عبد السلام السلوي، وتوجد منه نسخة فريدة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 6772، وقد صدّرت بالمقدمة التالية: «هذه جماعة الكنانيش التي اجتمعت في هذا الكتاب نسخت بأمر الفقيه الشهير، وزير المقام الشريف العلي بالله، السيد محمد بن عبد السلام السلوي وفقه الله، فلا شيء ازداد ولا نقص على ما كان كتب في السفرين اللذين طبعهما بمدريد النصراني دون ميكل كاسيري، وسمي تأليفه: «زمام الكتب العربية التي وجدت في الأسكوريال». أما تاريخ القيام بهذا التعريب فهو ما تحدده هذه الفقرة التي ختمت بها الترجمة: «هذا تمام السفرين اللذين نسخا كما ذكرناه في صدر الكناش الأول، ووقع الفراغ في عشية نهار الخميس الموفي شهر ربيع الثاني، عام ستة وعشرين ومائتين وألف، «23 ماي 1811م» والحمد لله رب العالمين، آمين»[11] ويبدو أن هذا العمل كان نتيجة لامتداد اهتمام المغاربة بالمخطوطات العربية الأندلسية بصفة عامة، ومخطوطات الأسكوريال بصفة خاصة.

وعلى الرغم من تعاقب ثُلّة من كبار المستشرقين أمثال درنبورغ، وليفي بروفنسال، ورونو وسواهم على إعادة فهرست الأسكوريال وإصدار القوائم في

(10) انظر كتاب العربي (أندلسيات) محمد عبد الله عنان/ ص: 215.

(11) انظر مجلة (البحث العلمي) المغربية/ العدد: السادس (1965)/ ص: 19 و20.
دراسة أنجزها العلامة محمد المنوني عن ترجمة مغربية لفهرس الأسكوريال.

الصحف الأوروبية وبلغات مختلفة، فإنه قد بقي لفهرست الغزيري قيمته، هذا الفهرست الذي أقر مباشرة بعد ظهوره في مؤلفات العلماء من المستشرقين أمثال يوسف كوندي صاحب كتاب «تاريخ دولة العرب في إسبانيا». ودوزي مؤلف كتاب «تاريخ المسلمين في إسبانيا»، وغيرهما. ولبث فهرس الغزيري من أجلّ الأعمال العلمية المفيدة، ومرجعاً فريداً للمجموعة العربية الإسبانية في الأسكوريال، ومقصد العلماء والباحثين من سائر أنحاء العالم. وكان لما يحتويه من المعلومات والحقائق والوثائق أثر كبير في تطور الدراسات الإسبانية العربية، والكشف عن كثير من المعلومات عن نظم إسبانيا المسلمة، السياسية والاقتصادية والإدارية، وعن الحضارة الأندلسية في قمة مجدها وعزها.